تمهيد

يُعدّ الفولكلور من أهم الحقول المعرفية التي تهتم بدراسة الإنسان في علاقته بمجتمعه، وبذاكرته الجماعية، وبما يختزنه من تجارب وقيم ورؤى للعالم .فهو مرآة تعكس الحياة اليومية للشعوب، وتُجسّد أنماط تفكيرها ومشاعرها وأساليب تعبيرها عبر الأزمنة المختلفة، ومن هنا تأتي أهمية دراسة الفولكلور بوصفه علمًا إنسانيًا واجتماعيًا، لا يقتصر على جمع النصوص الشعبية أو وصف العادات والتقاليد، بل يتجاوز ذلك إلى فهم البنية العميقة للثقافة الشعبية، ودورها في تشكيل الهوية الفردية والجماعية.

لقد ارتبط الفولكلور بالإنسان منذ بدايات تشكّل المجتمعات البشرية، حيث كان التعبير الشفهي هو الوسيلة الأساسية لنقل المعرفة والخبرة، سواء عبر الأساطير أو الحكايات أو الأمثال أو الأغاني، ومع تطور المجتمعات وظهور الكتابة، ظلّ الفولكلور محتفظًا بخصوصيته، باعتباره تعبيرًا صادقًا عن وجدان الجماعة، وعن رؤيتها للعالم، وعن تفاعلها مع الطبيعة والتاريخ والواقع الاجتماعي.

2-مفهوم الفولكلور من حيث اللفظة والأصل اللغوي

تتكوّن كلمة" فولكلور (Folklore) "من مقطعين في اللغة الإنجليزية "Folk" : وتعني الشعب أو العامة أو الجماعة البشرية، و"Lore" وتعني المعرفة أو الحكمة أو المأثور، وبذلك فإن المعنى الحرفي للمصطلح هو" معرفة الشعب "أو" حكمة الشعب"، أي ذلك الرصيد المعرفي والثقافي الذي تنتجه الجماعة الشعبية وتتوارثه عبر الأجيال.

وقد استُخدم هذا المصطلح لأول مرة سنة1846 م على يد الباحث الإنجليزي ويليام جون تومز(William John Thoms) ، الذي اقترحه ليحلّ محلّ مصطلحات سابقة كانت تشير إلى العادات والتقاليد الشعبية .ومنذ ذلك الحين، أصبح مصطلح الفولكلور متداولًا في الدراسات الغربية، ثم انتقل إلى الثقافة العربية عبر الترجمة والاحتكاك الفكري.

3- تعريف الفولكلور اصطلاحًا عند الباحثين الغربيين

تنوّعت تعريفات الفولكلور عند الباحثين الغربيين بتنوّع زوايا النظر والمناهج المعتمدة، فبعضهم ركّز على الجانب النصّي، بينما اهتمّ آخرون بالجانب الاجتماعي

أو الوظيفي، من بين هذه التعريفات ما يراه الباحثون علمًا يدرس المأثورات الشعبية بجميع أشكالها، سواء كانت قولية كالحكايات والأمثال والأغاني، أو فعلية كالعادات والتقاليد والطقوس.

ويعرّف بعض علماء الأنثروبولوجيا الفولكلور بأنه مجموع الإبداعات الجماعية التي تعبّر عن ثقافة شعب ما، والتي تنتقل أساسًا عن طريق المشافهة، وتتميّز بكونها مجهولة المؤلف، وقابلة للتغيّر والتحوّل بحسب السياق الزماني والمكاني.

كما يرى آخرون أن الفولكلور ليس مجرد مادة تراثية جامدة، بل هو ممارسة ثقافية حيّة، تتجدّد باستمرار، وتؤدّي وظائف اجتماعية ونفسية وجمالية داخل المجتمع.

4-تعريف الفولكلور عند الباحثين العرب

في الثقافة العربية، ظهرت محاولات عديدة لتعريب مفهوم الفولكلور وتعريفه، فاستُخدمت مصطلحات مثل :التراث الشعبي، الثقافة الشعبية، المأثورات الشعبية، ويرى عدد من الباحثين العرب أن الفولكلور هو مجموع العادات والتقاليد والمعتقدات

والفنون القولية والعملية التي تنتجها الجماعة الشعبية، وتعكس أسلوب حياتها ونظرتها إلى الكون والإنسان.

ويؤكد بعض الدارسين العرب على أن الفولكلور يشكّل جزءًا لا يتجزأ من الهوية الثقافية للأمة، وأن دراسته تسهم في فهم التاريخ الاجتماعي والثقافي، لا سيما في المجتمعات التي اعتمدت طويلًا على النقل الشفهي.

كما يشدّد آخرون على ضرورة التعامل مع الفولكلور بوصفه علمًا له مناهجه وأدواته، وليس مجرد جمع عشوائي للنصوص أو المظاهر الشعبية.

5- نشأة علم الفولكلور وتطوّره

أ- مواضيع الفولكلور ومجالاته

يتحدّد الفولكلور في مجموعة واسعة من المواضيع التي تشمل مختلف مظاهر الحياة الشعبية، فهو يدرس المعتقدات الشعبية المرتبطة بالطبيعة والغيبيات، مثل الأساطير والخرافات، كما يهتم بالعادات والتقاليد المرتبطة بمراحل الحياة المختلفة، كالولادة والزواج والموت.

ويشمل الفولكلور أيضًا الفنون الشعبية، سواء القولية كالحكايات والأمثال والألغاز والأغاني، أو الأدائية كالرّقصات والموسيقى الشعبية .كما يدرس الفولكلور الممارسات اليومية، مثل الأزياء التقليدية، والمأكولات الشعبية، والحِرف والصناعات التقليدية.

ب-أنواع الفولكلور ونصوصه

يمكن التمييز بين عدة أنواع من الفولكلور، من بينها الفولكلور القولي الذي يضم النصوص الشفوية المتداولة بين الناس، كالحكايات الشعبية والسير والملاحم والأمثال والأغاني، ويتميّز هذا النوع بطابعه الشفهي، وبقابليته للتغيّر والتنوّع.

وهناك الفولكلور العملي أو المادي، الذي يشمل العادات والتقاليد والطقوس، إضافة إلى الأدوات والأزياء والحِرف .كما يُضاف إلى ذلك الفولكلور الاجتماعي، الذي يتناول أنماط السلوك والعلاقات داخل المجتمع.

6- أهمية الفولكلور ووظائفه

تتجلّى أهمية الفولكلور في كونه وسيلة لحفظ الذاكرة الجماعية، ونقل القيم والمعايير الاجتماعية من جيل إلى آخر، كما يؤدّي وظائف تربوية وتعليمية، من خلال ما تحمله النصوص الشعبية من حكم وتجارب إنسانية.

ويؤدّي الفولكلور أيضًا وظيفة جمالية، باعتباره مجالًا للإبداع الفني الشعبي، ووظيفة نفسية، إذ يساهم في تفريغ التوترات والتعبير عن المشاعر الجماعية.

7-خاتمة

في ضوء ما سبق، يتبيّن أن الفولكلور ليس مجرد بقايا من الماضي، بل هو عنصر حيّ في الثقافة الإنسانية، يعكس تفاعل الإنسان مع واقعه ومع تاريخه . ودراسته تمكّننا من فهم أعمق للمجتمع، وللتحوّلات التي تطرأ عليه، كما تسهم في الحفاظ على الهوية الثقافية في مواجهة تحديات العولمة.

قائمة المصادر والمراجع

اعتمدت هذه المحاضرة على مجموعة من المراجع العامة في الفولكلور، من بينها:

1. محمد الجوهري، *علم الفلكلور*، مطبعة العمرانية، الجيزة – القاهرة، الطبعة الثالثة، 1978
2. ألكسندر هجترى كراب (Alexander Hjetri Crab) *علم الفلكلور*، تر: رشدي صالح، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967 .
3. علي حيدر *الفلكلور الشعبي، حكايات عبر الزمان*، دار النشر، 2022.
4. شوقي عبد الحكيم، *موسوعة الفولكلور والأساطير العربية*، دار رؤية للنشر والتوزيع، 2020 .
5. عزام أبو الهمام المطور، *الفلكلور التراث الشعبي: الموضوعات، الأساليب، المناهج*، دار أسامة للنشر، عمان، (د ط)، 2017
6. Alan Dundes *The Study of Folklore*، Prentice-Hall, Englewood Cliffs, N.J., 1965.
7. Alan Dundes *International Folkloristics: Classic Contributions by the Founders of Folklore*, Rowman & Littlefield Publishers, 1999.